

الشكل النجمي في الفن الإسلامي

عبدالفتاح أحمد عبداللطيف

أستاذ مساعد، قسم التربية الفنية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. ارتبطت فلسفة الفن الإسلامي بالعقيدة الإسلامية، حيث استقى الفنان المسلم كل أعماله من روح تلك العقيدة هادفاً من وراء ذلك زيادة ارتباطه بخالفه.

وقد تنوعت مجالات الفن الإسلامي تنوعاً كبيراً ظهرت آثاره في كل مظاهر الحياة بوجه عام، ولعله من أبرز المجالات التي اهتم بها الفنان المسلم هي العمارة الإسلامية حيث أولاه اهتماماً خاصاً شمل عناصرها ومكوناتها المتعددة.

وكان للشكل النجمي دوره البارز في زخرفة وتجميل الكثير من المنجزات الإسلامية أبرزها المساجد باعتبارها بيوت الله حيث نجد ذلك الشكل الكائن في المنابر والمحارب والقباب والأسقف والملابس وغيرها.

ولعل ارتباط الفنان المسلم واهتمامه بالشكل النجمي هو ورود لفظ النجم في أكثر من موضع في القرآن الكريم الذي هو دستور الحياة.

المقدمة

نبعت فلسفة الفن الإسلامي بصفة أساسية من جوهر العقيدة الإسلامية، الأمر الذي جعل الفنان المسلم يعيش متأملاً لكل ما يقع عليه بصره من المخلوقات الكونية من حوله، وقد بدأ هذا التأمل من جانب الفنان المسلم كمنطلق للتقرب إلى الله والإيمان بقدراته الخلاقة

العظيمة التي ملأت الأرض والسماء وما بينهما. ثم ما لبث أن وجه الفنان المسلم تأملاته في مخلوقات الله إلى محاولة توظيف انطباعاته عن تلك التأملات لإيجاد فنون ترتبط في مظهرها وجوهرها بتلك العقيدة التي طالما كانت هي دستور الإنسان المسلم بتوظيف ذلك الفن لخدمة مظاهر الحياة بشكل عام وخاصة في المجالات التطبيقية المتنوعة. حيث عم الفن وانتشر في المظاهر الحياتية المتباينة كالعمارة والأدوات الاستعمالية المختلفة، ومنذ مولد ذلك الفن نراه قد اصطبغ بصبغة فريدة جعلت له شخصية متميزة بين الفنون الأخرى.

ولقد لجأ الفنان المسلم إلى أساليب تشكيلية في تحقيق أعماله الفنية لتسير وفق المنهج الإسلامي وتبتعد كل البعد عما يخالفه ولذلك فقد اتجهت تلك الفنون بوجه عام إلى التشكيل المجرد الذي يعتمد في بنائه على جوهر الأشياء دون محاكاتها أو محاولة مضاهاة مخلوقات الله. ولذلك فقد كان التجريد أقرب الأساليب التشكيلية التي تحقق للفنان المسلم ذلك الأمر.

ولعلنا ندرك كيف استطاع الفنان المسلم أن يحقق من خلال المفردات التشكيلية فناً عظيماً استقى منه فيما بعد الكثير من الفنانين على مر العصور بل إنه قد قامت في عصرنا الحديث مدارس فنية تعتبر منطلقة من جوهر ذلك الفن.

وتجلت إنجازات الفنان المسلم فيما قدمه من ابتكارات فنية متنوعة وخاصة في مجال الزخرفة بأشكالها المتباينة سواء أكانت تعتمد في تشكيلها على المفردات الهندسية أو المفردات النباتية أو الكتابات أو المفردات الحيوانية والأدمية أو الجمع بين نوعين منها أو أكثر.

والذي لاشك فيه أن الفنان المسلم كان فناً مبتكراً له شخصية متميزة فريدة تتضح معالمها من خلال التعرف والإحساس بالسمات الجوهرية للفن الإسلامي وهذا الأمر قد جعل لما أبدعه من الفن الإسلامي على مر العصور ثقلًا فنياً يعترف به كل من يدرك ويتذوق ذلك الفن الأصيل. ولا أدل على ذلك من أن كبار المفكرين وعلماء الآثار والمهتمين بالتراث الإسلامي قد اتجهوا مهتمين اهتماماً بالغاً بتناول المجالات المتعددة لذلك الفن بالنقد

والتحليل الفني ونشره بلغات عدة ليتاح لشعوب العالم أجمع وخاصة لغير الناطقين باللغة العربية أن يتذوقوا ذلك الفن وأن يدركوا قدر الفنان المسلم وما حققه من تراث فني عظيم يعبر عن روح العقيدة الإسلامية ويسهم في نشر بعض الجوانب التي تدعو إليها تلك العقيدة.

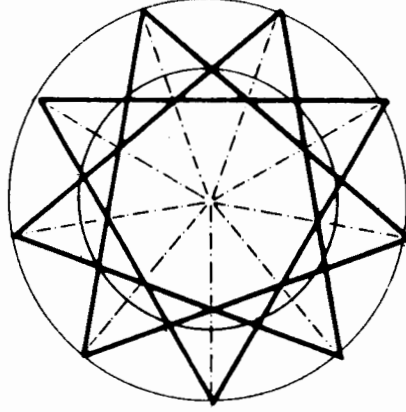
ونتيجة لتأملات الفنان المسلم في المظاهر الطبيعية والمخلوقات الكونية من حوله وإيمانه الراسخ بعظمة الخالق سبحانه وتعالى فقد أدرك أن وراء كل ظاهرة من الظواهر الطبيعية خالق قادر هورب العرش العظيم فكان ذلك دافعاً قوياً عنده لمتابعة نمو النبات والكائنات وحركة الرياح والنجوم والشمس والقمر متدبراً ما وراء هذه الظواهر الكونية من عظمة أهدته إلى طاعة الخالق والإيمان بوحدانيته.

ولما وجد الفنان المسلم تكرار ورود بعض الظواهر الكونية في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حاول توظيف مدلولاتها فيما أنجزه من فن، ولعل أكثر الظواهر التي اهتم بها هي ظاهرة وجود النجوم في السماء. فذهب يزيد من تأمله للنجم وبدأ في توظيفه بشكل مبتكر لا وجود لمثيله في الطبيعة ولكنه مستوحى منها.

ولعلنا نكون قد حققنا جانباً مما نصبو إليه من تأكيد عظمة ذلك الفن الإسلامي الأصيل إذا ما ألقينا الضوء على الشكل النجمي في الفن الإسلامي وكيف تناوله الفنان المسلم من الوجهة التشكيلية والجمالية والوظيفية.

ماهية الشكل النجمي

شكل هندسي منتظم تقع رؤوسه أو زواياه على محيط دائرة وحدوده الخارجية عبارة عن خط منكسر منتظم رؤوس زوايا انكساراته الداخلية تقع على محيط دائرة واحدة كما تقع رؤوس زوايا انكساراته الخارجية على محيط دائرة أخرى أقل اتساعاً من السابقة، شكل رقم ١ [١، ص ٢٤]، ويختلف المظهر المرئي للشكل النجمي وفقاً لعدد زوايا انكساراته.



شكل رقم ١ . كيفية تكوين الشكل النجمي .

فإذا كان يعتمد في تشكيله على خمس زوايا كان الشكل الناتج خماسياً وإذا اعتمد في تشكيله على ست زوايا داخلية كان الناتج شكلاً سداسياً وهكذا يمكن الحصول على العديد من الأشكال النجمية ذات الهياكل المختلفة وذلك بالتحكم في عدد رؤوس زواياه .

دوافع استخدام الشكل النجمي في الفن الإسلامي

لقد كان لعنصر البيئة في الفن الإسلامي أثر واضح ، فالمجتمع الزراعي ومجتمع الرعي حققا وحدة فنية وتضافراً في اكتمال الجوانب الفنية في وحدة واحدة .

فاستمد الفنان أعماله من طبيعة تقسيمات الأرض الزراعية الهندسية والخطوط المتوازية واتساع المساحات وعرضها وعمقها كما أن أشكال النباتات وتنوعها والامتدادات المتفرعة والدائرية والمتشابكة والمتلوية ودأبه على الملاحظة الدقيقة والحساسية المرفهة للنباتات وتبع نموها كان منطلقاً لتشكيلاته الفنية .

وفي البيئة الصحراوية باتساعها فقد دأب الإنسان فيها على المتابعة الدقيقة في البحث عن بئر للماء هنا وعشب ومرعى هناك وتبع التغيرات في السماء من غيوم وشروق وعواصف ورياح كل هذا مقترناً بعامل الهدوء والسكينة الذي يجيم على الصحراء .

وكل من الزارع في الحضر والبدوي في الصحراء فقد جمعها عنصر المتابعة والملاحظة الدقيقة لقبة السماء باعتبارها مصدر المياه والاهتداء للسير والقوافل من خلال ملاحظة النجوم والكواكب لأي تطورات ينتج عنها تغيير المناخ الذي هو أحد الأسباب للحياة للأرض والنبات والإنسان على حد سواء .

تم تبع ذلك أن لكل سبب مسببا فلا بد أن يكون وراء كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة خالق وصانع ، وإدراك بوجود رب واله لهذا الكون . فكان ذلك تمهيداً لمتابعة حركة النجوم وسيرها وتقصي وجودها كضياء وكنظيم واهتداء وجمال يزين صدر السماء .

ومن هنا كان ارتباط الإنسان بالنجم فحاول معرفة أسرارهِ واكتشاف كنههِ ولعلها كانت الخطوة الأولى لإدراك علوم الرياضيات والفلك والنظريات الهندسية والعلمية .

ثم يتأكد عنصر النجم في آيات القرآن ليلفت نظر المسلم لأهمية هذا الكائن .
 ﴿ وَعَلَّمْنَا وَابِلَ النِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل، آية ١٥]
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ أَفْضَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام، آية ٩٧]
 ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن، آية ٦]
 ﴿ فَتَنَظَّرْنَاهُ فِي النُّجُومِ ﴾ [الصافات، آية ٨٨]
 ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم، آية ١]

وقد فسر البعض النجم بأنه النجم الذي في السماء كما فسر بعضهم النجم بأنه النبات الذي لا يستوى على سوقه كالشجر وسواء كان هذا أم ذاك فإن مدى الإشارة في النص الواحد ينتهي إلى حقيقة اتجاه هذا الكون وارتباطه [٢، ص ٢٠].

والكون خليفة حية ذات روح يختلف مظهرها وشكلها ودرجتها من كائن إلى كائن ولكنها في حقيقتها واحدة .

فإن الله خلقنا وأعطانا الإحساس بالتناسق فكل ما يوجد حي متحرك لأن كل شيء متتابع ومتصل وكل كوكب ونجم إن هو إلا كائن حي .

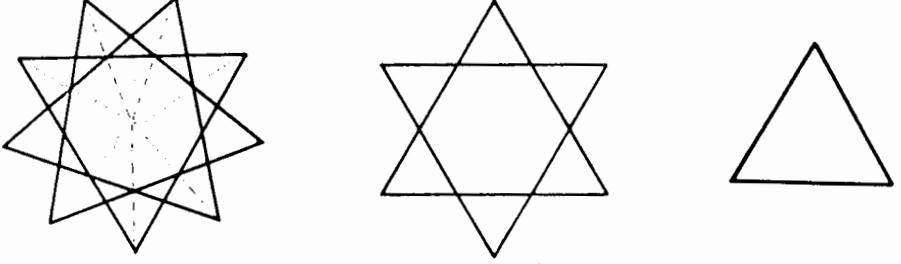
ولما كانت قدرة الإنسان على رؤية النجوم في السماء بالعين المجردة غير كافية للوقوف على هيئة النجم أو شكله وإدراك إمكاناته أو تفاصيله فقد تعامل الإنسان بصرياً مع النجوم في السماء بشكل إدراكي عام ، فهو ليس لديه تصور كامل عن شكل محدد للنجم فانطباعه عن النجم لا يخرج عن كونه بقعة مضيئة يراها في السماء ، ولذلك فقد استوحى من شكل النجوم أشكالاً رمزية أخذت فيما بعد طابعاً فريداً عرف من خلال مجالات الفن الإسلامي المتعددة . وما توصل إليه الفنان المسلم من هيئات مختلفة للشكل النجمي إنما هي نتيجة لمحاولاته المتعددة وبحته الدائم وتأملاته المستمرة في المخلوقات الكونية من حوله وقد دفعه كل ذلك إلى التوصل إلى العديد من الأشكال النجمية المتباينة في هيئاتها العامة التي سعى إلى توظيفها توظيفاً جمالياً وتشكيلياً أسهم بقدر كبير في إثراء القيم الفنية وتأكيداتها في كل المشغولات التي أنجزها الفنان المسلم على مر العصور .

الأساس الهندسي للشكل النجمي

يعتمد الأساس الهندسي لتكوين الشكل النجمي على حركة الخط المستقيم بشكل متغير الاتجاه حيث ينتج عن تلك الحركة ما يسمى بالخط المنكسر . والخط المنكسر المكون للشكل النجمي يتحرك حركة مغلقة حول مركز ثابت . كما ينتج عن تلك الحركة مجموعة من الزوايا الداخلية والخارجية تختلف في مقاديرها وأعدادها وفقاً لاختلاف أضلاع الشكل النجمي ، فإن كان يتكون من اثني عشر ضلعاً فإنه يحتوي على ست زوايا داخلية وست زوايا أخرى خارجية . ولذلك فإن الشكل النجمي الناتج يتوقف على عدد الزوايا المكونة له .

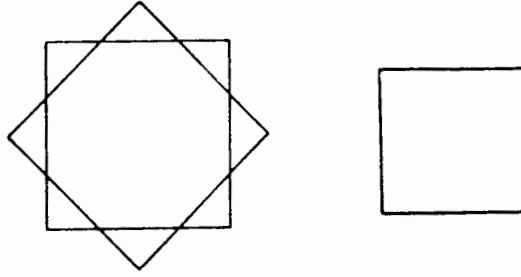
وهناك عدة طرق لبناء الشكل النجمي برع الفنان المسلم في وضع الأسس الهندسية والرياضية المحكمة والدقيقة التي تحقق تكوين العديد من تلك الأشكال بهيئات ابتكارية متباينة . ومن أبسط تلك الطرق استخدام وضع مثلثين أضلاعهما الستة متساوية بشكل

متراكب بحيث يبعد رأس كل زاوية من الزوايا الست للمثلثين بمسافة متساوية من المركز الذي يجمعهما معا (شكل رقم ٢).



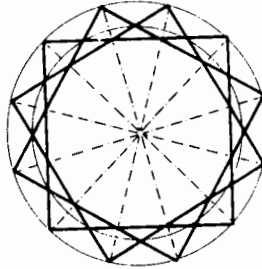
شكل رقم ٢ . تكوين الشكل النجمي بتراكيب المثلثات .

وبالطريقة نفسها يمكن استخدام مربعين متراكبين في الحصول على الشكل النجمي (شكل رقم ٣) واستخدام الشكل السداسي الأضلاع أو غير ذلك .



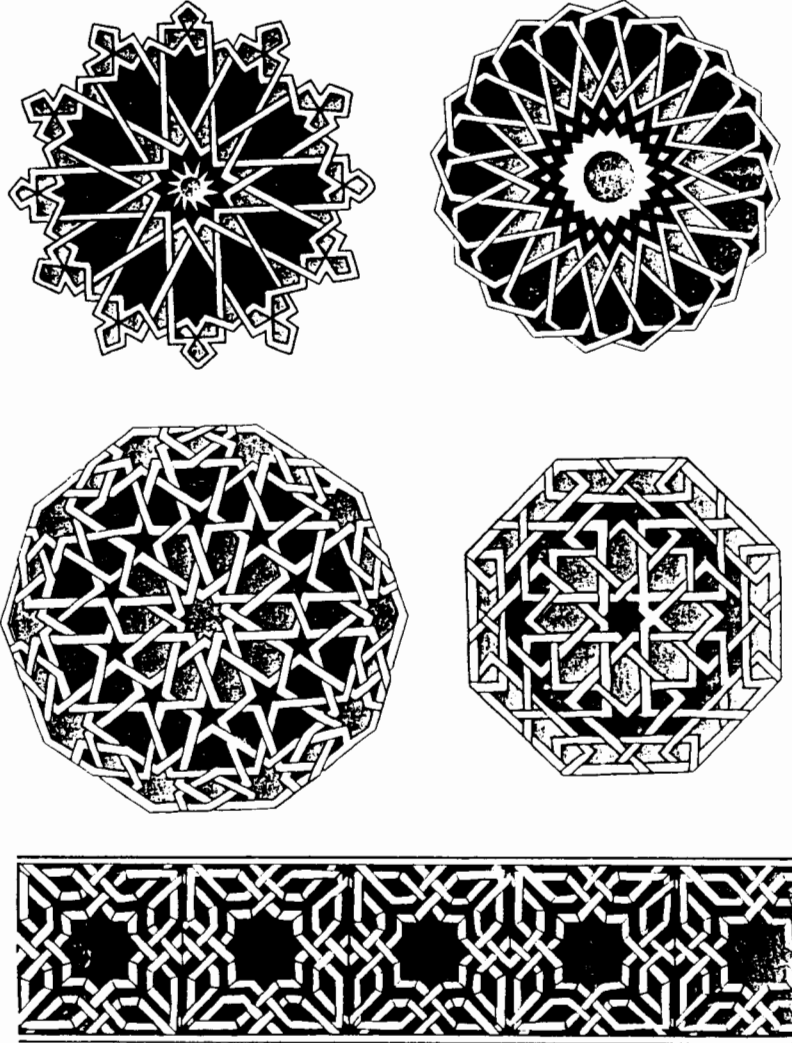
شكل رقم ٣ . تكوين الشكل النجمي بتراكيب مربعين .

ويمكن تحقيق الشكل النجمي بأي عدد من الزوايا وذلك باستخدام دائرتين متداخلتين بعد تقسيم محيط كل منهما إلى عدد الزوايا المطلوب في شكل رقم ٤ .



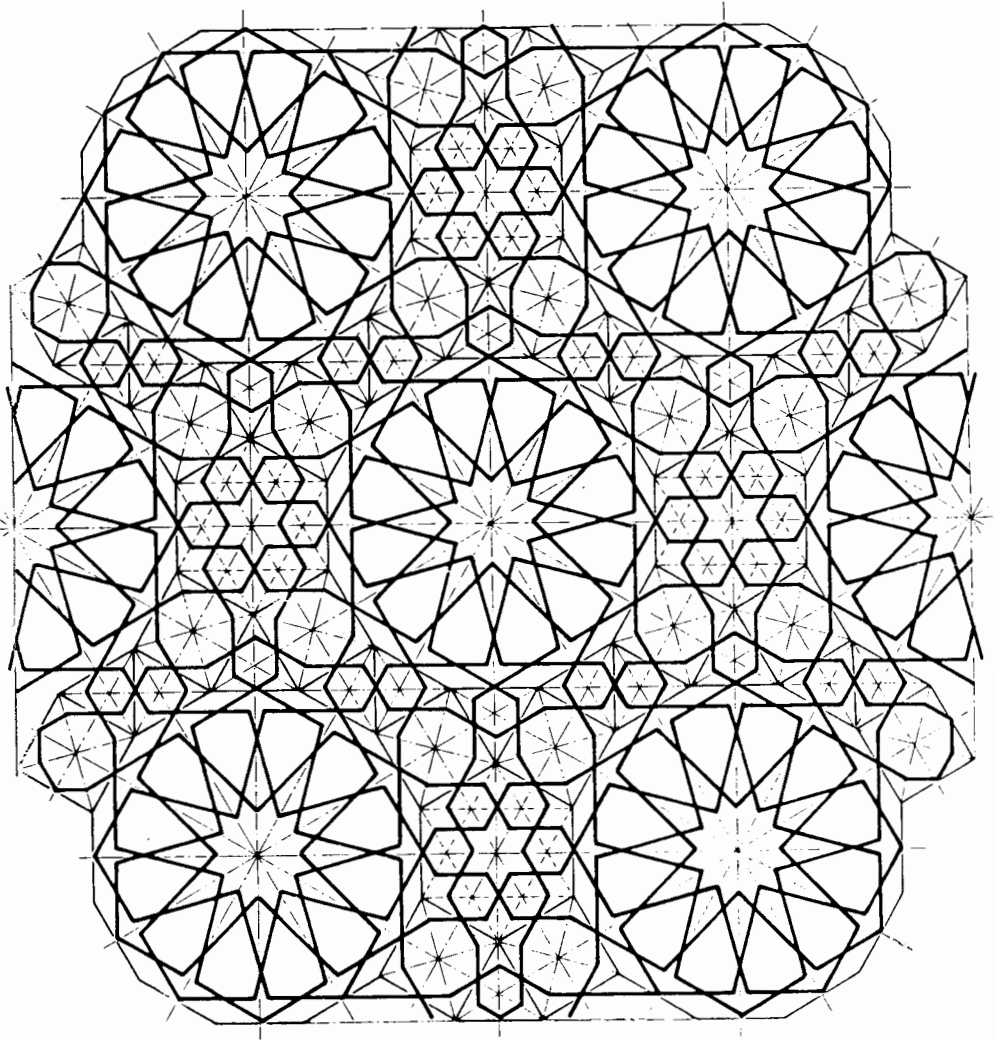
شكل رقم ٤ . طريقة رسم الشكل النجمي .

وهناك عدة طرق أكثر تعقيداً من حيث عملية التنفيذ والتطبيق العملي للحصول على أشكال نجمية مختلفة والتي يتضمن شكل رقم ٥ [٣، ص ٤١] بعضاً منها.

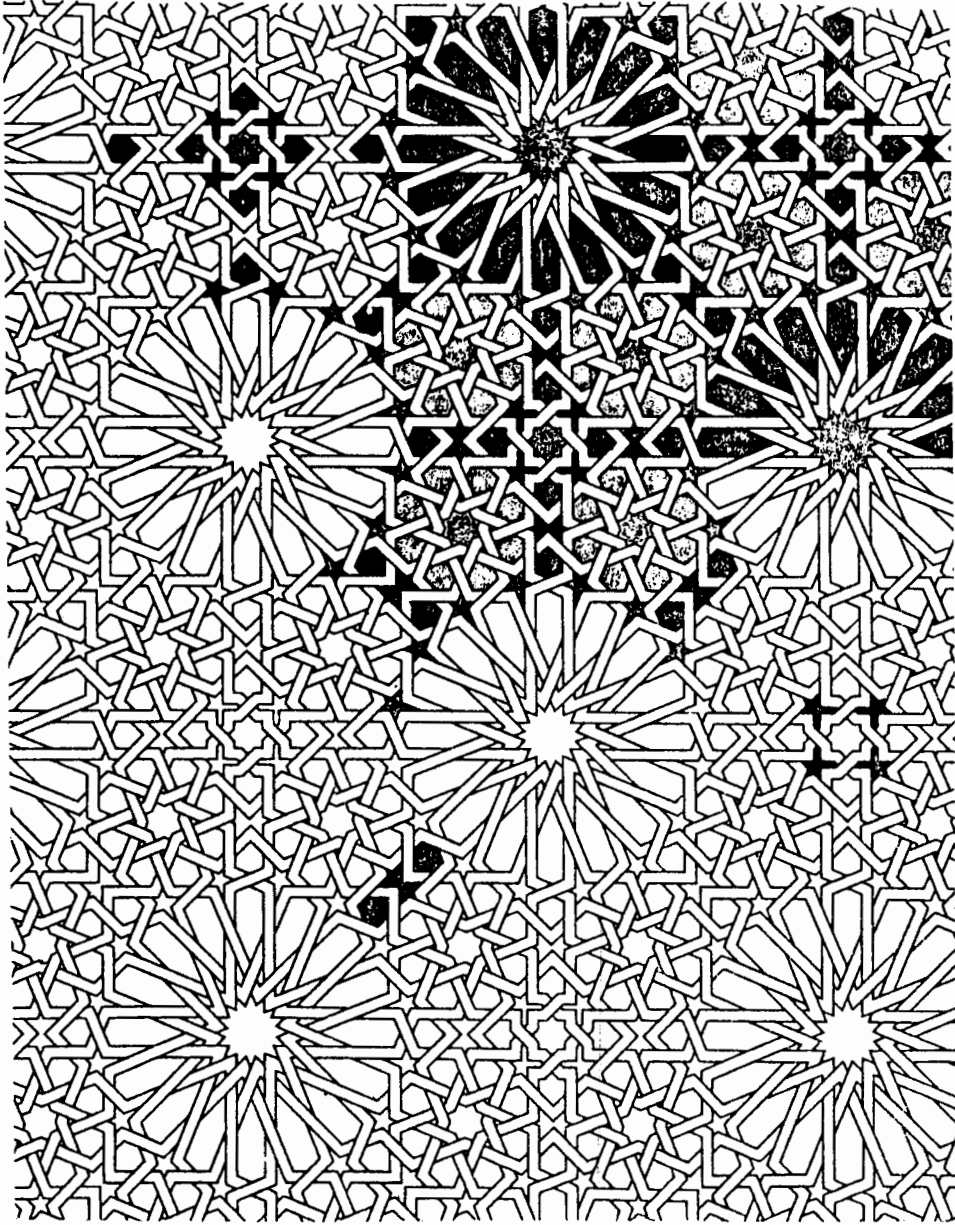


شكل رقم ٥ . نماذج مختلفة من الأشكال النجمية .

والشكل النجمي وحدة هندسية قائمة بذاتها ولكنه كثيراً ما تم توظيفه فنياً وابتكارياً بحيث أمكن للفنان المسلم أن يجعل من هذه الوحدة نواة لبناء تشكيلات غاية الدقة والتعقيد من حيث تركيباتها التشكيلية كما استطاع أن يصيغ منها تشكيلات مفتوحة النهايات مما أتاح له فرصة استخدامها في مجالات الفنون الإسلامية على اختلاف أشكالها (شكل رقم ٦، ٧) [٣، ص ١٧٧].



شكل رقم ٦ . تكوينات مفتوحة النهايات للشكل النجمي .



شكل رقم ٧ . تكوينات مفتوحة النهايات للشكل النجمي .

مجالات توظيف الشكل النجمي في الفن الإسلامي

تمكن الفنان المسلم خلال الأحقاب التاريخية المختلفة أن يتوصل إلى مجموعات كثيرة من الأطباق النجمية التي تحمل في ثناياها الكثير من الجوانب الفنية والتشكيلية التي تشهد بقدرة ذلك الفنان الابتكارية وسيطرته على ذلك الشكل بتوظيفه في مجالات متعددة من مجالات الفن الإسلامي ، سواء أكانت ترتبط بالمجالات الفنية البحتة أو المجالات التطبيقية الوظيفية التي شملت مظاهر الحياة العامة والأدوات الاستعمالية اليومية التي طالما عاش بينها الإنسان المسلم وارتوى من قيمها الفنية والجمالية وازداد عبرة وعظة وإيماناً بعظمة الخالق وسنة رسوله من خلال وعيه وإدراكه بما كانت تنقله تلك الأعمال الفنية من بعض مبادئ الدين الإسلامي الحنيف والسنة النبوية المطهرة .

والذي يرجع إلى الآثار الإسلامية التي خلفها الفنان المسلم في الأقطار الإسلامية والعربية يستطيع أن يقف على مدى ما توصل إليه الفنان المسلم من إنجازات بهرت الإنسان خلال العصور اللاحقة وحتى عصرنا الحديث .

ولعل الرجوع إلى مختارات من توظيف الفنان المسلم للشكل النجمي في المنجزات الفنية الإسلامية يشير بوضوح إلى إلقاء الضوء عليه في هذا المجال . ولعله يكون من الصعوبة بمكان أن نتطرق لكل المجالات التطبيقية والفنية التي عالجها الفنان المسلم من خلال توظيف الشكل النجمي وإنما يحتم علينا الأمر أن نلجأ إلى إلقاء الضوء على بعض المجالات منها التي نرى فيها بعضاً من التنوع والتي تشير بجلاء إلى ما تضمنته من قيم فنية وجمالية .

والعناية بدراسة التراث الفني الإسلامي وخاصة في مجال المساجد الإسلامية لم يعد نوعاً من الترف يمكن الاستغناء عنه لأنه وسيلة من أنجح الوسائل إلى إذكاء روح الانتباه وثقيف العقل وصقل المواهب وتنصيف الذوق .

فمن خلال تعرضنا لأي جزء من أجزاء المسجد فإن الفنان لم يقف عند حد المنفعة بل عمل على أن تكون إلى جانب وظيفتها الأساسية أثراً فنياً يشعر بالجمال الذي ترتاح العين

إلى رؤيته وتبعث الإعجاب في نفس الرائي ، فكان استخدامه ولید الشكل المبتكر الذي تتناوب وحداته بشكل متنوع يثري الجانب الفني ويجعل لها شخصية متميزة بين العمائر الأخرى .

فلقد تشكلت الوحدات النجمية بالجص والحفر والنقش على الحجر في تجميل أشكال المآذنة من خلال الغائر والبارز بأشكالها الهندسية المتباينة وبتوزيعها المتألف وتنسيقها تنسيقاً جمالياً .

ويظهر ذلك أيضاً في تشكيلات متعددة، سواء على الأسقف الحجرية أو النقوش الزخرفية لتلك الوحدات النجمية أو على تيجان الأعمدة، سواء داخل المسجد أو خارجه وأيضاً الخاص بمجاز القبلية والمنابر والقباب (شكل رقم ٨) [٤] .

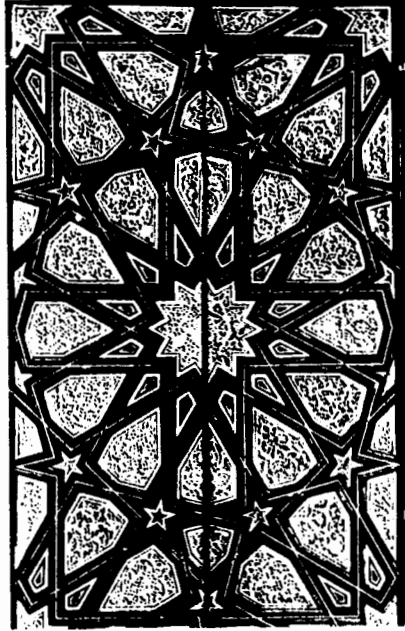


شكل رقم ٨ . نموذج للشكل النجمي في الحفر على الخشب المطعم بالبرونز والعاج .

وقد سارت القباب في مدارج الرقي خطوات واسعة وتجلت في إنشائها براعة منفذها وأكثرها من استعمالها حتى لقد أصبحت من السمات البارزة في العمارة الإسلامية الوحدات النجمية أو الأطباق النجمية بصورة جمالية ابتكارية .

ولقد كان لاختلاف البيئات من حيث النواحي المناخية أثر واضح على المشغولات الخشبية حيث فرضت تلك الظروف المناخية طرقاً خاصة في تنفيذ الصناعات الخشبية مضافاً إلى ذلك أن غالبية المناطق العربية لم تحظ بتوفر نوعيات من الأخشاب جيدة المستوى مما كان يدعو إلى استيراد أنواع أخرى ذات سمات ومواصفات جيدة لاستخدامها في مجالات الفن الإسلامي بوجه عام .

أما التشكيلات المعدنية المختلفة فتمثلت في المباخر والمشكاوات والمعلقات المضاءة والأبواب المطعمة بالنحاس والفضة والبرونز (شكل رقم ٩) [٤] والتي تدل على الإتقان والمهارة والدقة .



شكل رقم ٩ . باب من الخشب مطعم بالنحاس .

وفي مجال النسيج وطباعة المنسوجات نرى أن بعضاً منها قد تزين بوحدات زخرفية من بينها توظيف الشكل النجمي بطرق متعددة (شكل رقم ١٠) [٥] مضافاً إلى ذلك ما قد تم توظيفه من تلك الأشكال في صناعة السجاد الإسلامي الذي تميز بجودته الفائقة .



شكل رقم ١٠ . سترة السلطان محمد الثاني مصنوعة من الحرير المقصب . النصف الثاني من القرن ٩هـ حالياً بمتحف لوبكابي - إسطنبول .

وهناك الكثير من الأدوات الاستعمالية المختلفة التي حاول الفنان المسلم أن يضيف قيمتها الوظيفية جانباً من القيم الجمالية معتمداً في ذلك على توظيف العديد من الوحدات الزخرفية، سواء أكانت ذات طابع هندسي أو تعتمد على العناصر النباتية أو الحيوانية والادمية أو الجمع بين نوعين أو أكثر فيها.

ومن خلال ذلك كله نرى أن الأشكال النجمية كان لها دور كبير في زخرفة العديد من تلك الأدوات .

وقد يطول بنا المقام إذا تناولنا بشيء من التفصيل كيف أن الفنان المسلم استطاع أن يستخدم الأشكال النجمية بعقلية الفنان المبتكر ومهارة الصانع المتمكن وذلك في دمج كامل بين الجانبين التقني والابتكاري . وما علينا إلا أن نخوض مجالات الفن الإسلامي المتعددة لنقف عما قدمه الفنان المسلم من تراث إنساني عظيم .

المراجع

- [١] عكاشة، ثروت . القيم الجمالية في العمارة الإسلامية . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م .
- [٢] خليل، عماد الدين . الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٧م .
- [٣] Humbert, Claude. *Islamic Ornamental Design*. London and Boston: Faber, 1980.
- [٤] الألفي، أبو صالح . الفنون الإسلامية . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٤م .
- [٥] علام، نعمت إسماعيل . فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢م .

The Star-Shape Element in Islamic Art

Abdul Fattah Ahmed Abdul Lattef

*Assistant Professor, Department of Art Education, College of Education,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

Abstract. The Islamic faith has been the main source of inspiration for all the Muslim artists. This faith has influenced all their work of art. The aim of the Muslim artist is to strengthen his relationship with his Creator through his aesthetic activities. Islamic art is so diverse that it covers all the aspects of life; particularly architecture with its numerous elements and components.

The star-shaped decorative units have an important role in decorating and beautifying things like mosques (the places of worshipping Allah) and their minbars, tombs and roofs. The decoration could also be evidenced in the embroideries of clothes and carpets.

The usage of these star-shaped decorative units could be due to the mention of the star in many verses in the Holy Quran.